

# الحرب في أوكرانيا و«النبوءة من أجل السلام»

«أدعوكم لمرافقتي في نبوءة السلام - فالمسيح، رب السلام! والعالم الذي ينتشر فيه العنف والحرب بشكل متزايد يُخيفني حقاً، إنني أعني ذلك حقاً؛ إنه يخيفني» (قداسة البابا فرنسيس في لقائه مع حركة الشراكة والتحرر في ١٥ أكتوبر ٢٠٢٢)

نحن نرغب في الدعم بقوة الجهود التي يبذلها قداسة البابا فرنسيس لإيجاد حلاً لإنهاء الصراع الرهيب في أوكرانيا، والذي يُعد جزءاً من تلك «الحرب العالمية الثالثة القاسية للغاية» (١٣ نوفمبر ٢٠٢٢) وهي محل إهتمام وقلق قداسة البابا منذ فترة.

## السعي بلا كلل إلى السلام

ليس هناك شيء ينسجم ويتوافق مع التطلعات العميقة لقلب الإنسان أكثر من السلام. فهو أحد المثل العليا التي لا يمكن أن نتوقف عن السعي إليه، فهو ليس بسيطاً أو مجرداً؛ إذ يتعامل قداسة البابا مع الإنسانية بكليتها وببؤسها وأكاذيبها، وجشعها وادعائها الهيمنة؛ وفي الوقت نفسه لا يستسلم للحرب كنتيجة حتمية للتوترات بين الأفراد والشعوب والأمم. إذ ينبغي عمل كل شيء حتى لا تكون الحرب هي الكلمة الأخيرة وحتى لا تتحول السياسة حتماً إلى استمرار للحرب بوسائل أخرى. فقد أظهرت أوروبا في المرحلة الأخيرة من تاريخها أن هذا السلام ممكن رغم العديد من القيود والتداعيات المأساوية وربما لأنها كانت لفترة طويلة أكثر الأماكن حروباً على هذا الكوكب.

## لا سلام بلا عدالة

إن العمل من أجل السلام يتم «هنا والآن» على الدوام، ويجب أن يكون مصحوباً بالوعي بالحقائق والظروف التي تميز الوضع الراهن. وبهذا المعنى، لا يمكن قبول الشكوك بتحميل أوكرانيا مسؤولية الحرب العدوانية، كما أنه لا يمكن أن يكون هناك سلام حقيقي بدون عدالة.

إننا نرى بقلق ظهور خطرين متعارضين: من ناحية الخسارة والخوف الناجمين عن حرب قريبة وعنيفة متزايد لا يؤديان إلى الرغبة في السلام، بل للبقاء في سلام فقط؛ ومن ناحية أخرى، إمكانية اختزال الدعم الضروري للشعب الأوكراني إلى أداة في أيدي «إمبرياليات متصارعة» (البابا فرنسيس، ١٥ سبتمبر ٢٠٢٢).

فالحرب لا تجلب سوى الموت والدمار، وتلغي الاعتراف الجوهري بأن الآخر هو خير. هل هناك سبيل ممكن للسلام في ظل الظروف الحالية؟ نعم بالحوار. فهو مسار يمكن السير فيه على الفور بالرغم من التوترات التي لا مفر منها. وعندما ينقطع خيط الحوار، وتصبح المصالح الخاصة مطلقة، تنفتح هاوية الصدام التي لا نهاية لها ولا تخلف ورائها سوى المهزومين في الميدان وتزرع بذور عنف أكثر شراسة في المستقبل.

لذلك، إذا كان من الصواب لأوكرانيا الدفاع عن سيادتها، ورفض العدوان الروسي عليها بحزم وبالمساعدات اللازمة، فمن الأهمية بمكان في نفس الوقت أن يتم تفعيل مسؤولية جميع الدول وجميع القوى المعنية بشكل مباشر وغير مباشر، في الصراع، بحيث يتم استئناف أو بدء الحوار بين الأطراف المعنية في أقرب وقت ممكن، في ضوء مفاوضات السلام التي يمكن أن تسود فيها واقعية العدالة، بتجاوز الخطط السائدة.

## «الكلمة المفتاحية هي الحوار»

فالحوار ليس وهماً، بل هو المخرج الوحيد والمعقول في جميع الظروف والأوضاع، حتى في أحلكها أو أكثرها تعقيداً. وقد قال ذلك البابا فرنسيس بشجاعة: «إنه أمر شاق، لكن يجب ألا نتجاهله، بل نعطي فرصة الحوار للجميع، للجميع! لأن هناك دائماً احتمال أن نتمكن بالحوار من تغيير الأشياء، أ وحتى تقديم مجرد وجهة نظر

أخرى. فأنا لا أستبعد الحوار مع أي قوة سواء كانت في حالة حرب أو حتى كانت هي القوة المعتدية ... فأحياناً يجب إقامة الحوار على هذا النحو، لكن يجب أن يتم، حتى لو فاحت منه «رائحة النتانة» إذ يجب أن يتقدم دائماً خطوة إلى الأمام، يد ممدودة، دائماً! وإلا فإننا نغلق الباب المعقول الوحيد للسلام. فأحياناً لا يقبلون الحوار؛ وهذا أمر مؤسف! لكن الحوار يجب أن يتم دائماً، أو عرضه على الأقل، وهذا مفيد أيضاً لمن يعرضه، فهو يجعله يتنفس الصعداء (١٥ سبتمبر ٢٠٢٢).

## «النبوءة من أجل السلام»

إن موقف البابا هو موقف نبوي وواقعي في نفس الوقت. فهو يدعو الجميع إلى تحمل المسؤولية، سواء أولئك الذين يقومون بمهام حكومية أو أولئك الذين، مثل معظمنا، يواجهون أعمالهم اليومية يوماً بعد يوم. وكي نقف مع البابا في نبوءة من أجل السلام، لنرغب في النضوج والتعلم من الكنيسة ومن شهودها، وأن ندرك أن السلام هو خير لجميع البشر وأن نستعد لأن نكون بناوة سلام حقيقيين من خلال حياتنا ذاتها. وهذا ما قاله الأب جوساني بعد مذبحه الناصرية في عام ٢٠٠٣: «لو كان هناك تعليم للشعب لكان الجميع أفضل حالاً».

لهذه الأسباب، نحن ملتزمون بدعم وتشجيع مبادرات الصلاة ولحظات المناقشة العامة التي يمكنها تعزيز التعمق في فهم القيمة الكامنة في حكم البابا فرنسيس على ما يحدث الآن. وهو إسهام منا للجميع لدعم الرجاء في ذلك السلام الحقيقي الذي يترقبه العالم أجمع.

■ ميلانو في ١٥ نوفمبر ٢٠٢٢

# الشراكة والتحرر